يسوع آلامه البشرية وموته

(مرقس ٥:٢١-٤٣)

تأليف: جو شوبيرت

في هذا النص من إنجيل مرقس، نرى يسوع يشارك في مأساة تسير باحداث سريعة. في تتابع سريع، قصة تلي أخرى. أحياناً يحيط بالظروف تضارب بقوات الكون الطبيعية، كما رأيناه في تهدئة العاصفة على بحر الجليل. وفي وقت آخر يتضارب بعالم شيطاني مثل طرد الشياطين من الإنسان الذي كان به روح نجس في الأصحاح الخامس من إنجيل مرقس. وفي أوقات أخرى أيضاً، نرى يسوع يجابه آلام بشرية، وأكبر مشاكل الإنسانية على الإطلاق السر العظيم للموت نفسه.

تمثل هذه القصص نقطة الإلتقاء لخبرة الإنسان، تلك التى تكفي ان تخرج أي منا عن الموازنة وتصيبنا بأذى الشعور بالسحق تماماً. ومع ذلك قضى يسوع على كل منها. انه لم يظهر مرتبكاً. بل يعلم دائماً ما يفعله. له ثقة فائقة في وسط الظروف التي يتحطم فيها أهون الرجال والنساء، هذا التحرك السريع يعزز ثقتنا بان يسوع هو حقاً رب الحياة والموت.

١. يسوع والموت (مرقس ٥:٢١-٢٤ ، ٣٥-٤٣)

يقول مرقس البشير ما يلي:

> ولما اجتاز يسوع في السفينة أيضاً إلى العبر، اجتمع إليه جمع كثير؛ وكان عند البحر. وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه يايرس جاء؛ ولما رآه خر عند قدميه، وطلب إليه كثيراً قائلاً: «ابنتي الصغيرة على آخر نسمة. ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفي فتحيا.» فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه (آيات ٢١-٢٤).

لابد انه كان من الصعب على يايرس ان يأتي إلى يسوع. يحدثنا مرقس البشير بان يايرس كان واحد من رؤساء المجمع في ذلك الوقت. كانت المجامع قد أغلقت أبوابها في تلك الفترة عن يسوع وعمله. لأنه شفى أناس كثيرين في يوم السبت وجرح شعور الكثير من الفريسيين، لهذا صمموا ان يمنعوه من الدخول إلى المجمع. ومع ذلك ها هنا واحدا من رؤساء المجمع، الإنسان المسؤول عن أبرز مجمع في مدينة كفرناحوم، جاءإلى يسوع متوسلاً إليه ان يبرأ ابنته.

كان على يايرس ان يتغلب على مختلف أنواع الأحاسيس قبل ان يتقدم بنفسه أمام يسوع بهذا الاسلوب. كان عليه ان يتغلب على اعتزازه بنفسه، وان يصارع تحيزه حتى ولو بالعار والضعف قبل ان يأتي بنفسه إلى المعلم المتجول الذي رفضه كل المتخصصين بدراسة الأسفار المقدسة في إسرائيل. زعيم الشغب هذا الذي انتقل من قرية إلى قرية يلقي دروس تغيظ الناس، والمعارضة تماماً لتعليم شريعة موسى كما يراها الفريسيين على الأقل. كان على يايرس ان يترك مقامه السامي كرئيس للمجمع، ويأتي إلى يسوع، ويخر عند قدميه ويتوسل إليه ان يأتي ويبرأ ابنته.

رغم كل ما تقدم ذكره الذي وقف كمانع لمجيئه {ليسوع}، فكان هناك أيضاً خوف بالغ الحد قاد يايرس إلى المسيح. قادته الى يسوع الحقيقة بان ابنته البالغة اثنتي عشرة عاماً قد تموت. يمكن لكل والد أو والدة ان يوصف

بذلك النوع من اليأس.

هناك أيضاً دليل على إيمان في قلب يايرس. يحدثنا مرقس البشير بانه عندما جاء خر عند قدمي يسوع وقال: « آبنتي الصغيرة على آخر نسمة. ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا » (آية ٢٣). هذا الرجل ورغم شهرته أدرك بان هناك قوة في يسوع. ولكن هذا الايمان كان صغيرا وغير ناضجا، وأمتزاج ذلك بالخوف من ان ابنته ستموت اضطره إلى ان يطلب المساعدة من المعلم.

٢. يسوع والآلام (مرقس ٥:٢٥-٣٤)

في هذا المكان ترك مرقس البشير قصة يايرس وأنتقل إلى المقاطعة، التى حدثت عندما كان يسوع ويايرس والآخرون في طريقهم إلى بيت يايرس. يحدثنا مرقس البشير بان يسوع استجاب للوقت لما يعانيه يايرس وبدأ بالذهاب إلى بيت يايرس. أضاف مرقس البشير: « وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه. » كان من بين ذلك الجمع إمرأة كانت لها مشكلة نزيف دم لعدة سنوات. يقول مرقس البشير في الآيتي ٢٥ و ٢٦ ما يلي:

> وإمرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة؛ وقد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً، بل صارت إلى حالة أردأ.

كانت تلك المرأة المسكينة تعاني من النزف، نزيف دم مستمر الذي لم يسبب لها آلام جسدية فحسب، بل جعلها أيضاً نجسة على حسب الطقوس الدينية لشريعة موسى. كانت منبوذة من مجتمع اليهود. لم تستطع الإختلاط مع الآخرين. مثلها كمثل الأبرص. وكان على اليهود الأمناء ان لا يمسوا إمرأة حينما تكون في هذه الحالة. وطبقاً لشريعة موسى، لم يسمح لها بالحضور للعبادة لا في الهيكل ولا في المجمع. لمدة اثني عشرة عاماً بكاملها، كانت تلك المرأة الجديرة بالشفقة، منبوذة ومعزولة عن المجتمع.

للحديث عن قصتها، يقول مرقس البشير بانها « قد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم ينفع شيئاً، بل صارت إلى حالة أردأ. » قال لوقا البشير ببساطة وهو نفسه طبيب بانها لم تقدر ان تشفى من أحد؛ (لو ٨:٤٣).

ولكن عندما أتت المرأة إلى يسوع، حدثت أعجوبة! يقول مرقس البشير في الآيات ٢٧-٢٩ بانها:

> لما سمعت بيسوع، جاءت في الجمع من وراء ومست ثوبه؛ لأنها قالت « إن مسست ولو ثيابه، شفيت. » فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت في جسمها أنها قد برأت من الدم.

لم يقال لنا كيف سمعت هذه المرأة عن المسيح. ولكن الأخبار وصلتها بطريقة ما. هذه الأخبار قد أشعلت الرجاء في قلبها. فكرت في نفسها قائلة « ها هنا إنسان قد يفعل شيئاً عن حالتي المأساوية بعد كل هذه السنوات من التعب. » وعندما كانت في طريقها إلى يسوع، رأت الجمع يزدحم حوله. ولكنها صممت أن تشق طريقها لتلمسه على الأقل. وعندما كانت تشق طريقها وتندفع بعنف وتُعالج بيدها خلال ذلك الجمع، اني متأكد بانها تعلم في الوقت نفسه بان كل من تلمسه كان سيصير نجس حسب الطقوس الدينية. ولكنها قد قررت في نفسها ان تضغط وتجاهد حتى تصل إلى يسوع. وأخيراً اقتربت بحيث تستطيع ان تلمسه. مست ثوبه، وللوقت علمت أنها قد برأت. وقف النزف.

يقول مرقس البشير:

> فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه، وقال: « من لمس ثيابي؟ » فقال له تلاميذه: « أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني؟ » وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا. وأما المرأة، فجاءت وهي خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها، فخرت وقالت له الحق كله. فقال لها « يا ابنة إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك. »

كان رد فعل التلاميذ للسؤال الذي سأله

يسوع مثيرا للعجب. عندما سأل يسوع ذلك السؤال قال التلاميذ: «أيها الرب يسوع، ماذا يحدث في الوجود يجعلك تسأل مثل هذا السؤال؟ مع هذا الجمع من الناس الذين يتزاحمون من حولك، كيف تتوقع ان تعرف الذي لمسك وتمسكه؟ قد يكون اي واحد من المئات من الناس.» من الواضح ان التلاميذ لم يعرفوا بانه حتى في الجمع المزدحم يمكن ليسوع ان يشعر بلمسة واحدة لشخص واحد. ولكنه شعر بها.

وأخيراً تقدمت المرأة بخوف وارتعاد لتكشف عن هويتها. شعرت بكونها المركز الذي توجه حوله كل هذا الأنتباه. ماذا قد يكون طبع الرب نحو الذي اراد ان ينال شيء من قوته الأعجازية دون دعوة منه؟ ارتعدت عند قدمي يسوع وقالت له الحق كله.

ماذا كانت استجابة يسوع؟ هل قال: «أنظري أيتها المرأة، ألا ترين بانني على عجل من أمري؟ هناك فتاة صغيرة على وشك الموت وانا ذاهب لأشفيها. فكيف تقاطعيني وتضايقيني!» كلا، لقد بقى هادئاً تماماً وقال لها بلطف: «يا ابنة، إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك.»

هذا هو النص الوحيد في العهد الجديد بكامله الذي فيه استخدم يسوع كلمة «ابنة». انه يتعامل برفق مع هذه المرأة المسكينة. بغض النظر عن عارها وورطتها، انها قالت من غير تفكير وبصراحة وخوف الحقيقة كلها عن نفسها وعن حالتها قدام الجمع الذي كان يتزاحم بعشوائية. عندما خرت عند قدمي يسوع بخوف وإرتعاد، كلمته عن الحالة التي كانت مصابة بها، وعن مدتها؛ لا شك انها وصفتها بالتفاصيل. وقالت له أيضاً كيف صممت لكي تجد طريقها إليه وكم وجدت من صعوبة وأوضحت له كيف نجحت أخيرافي الوصول إليه ولمسته، وكيف علمت في جسمها أنها قد برئت من الداء. فعلت كل هذه بخوف وإرتعاد، دون ان تدري ماذا سيكون رد فعل يسوع.

ما التباين بين طبع المرأة و طبع الجمع! تزاحم الجمع ودافعوا يسوع في ذلك اليوم كما كانوا يتدفقون على شوارع القرية. كانوا في روح الأحتفال، متوقعين ان يروا المعجزة التي كانت على وشك التنفيذ في بيت يايرس، رئيس المجمع. ولكن أتت المرأة إلى يسوع لسبب مختلف تماماً؛ انها أتت لشعورها بحاجة ماسة، وبقلب الرجاء. وحصلت على كل ما كان تطلبه من يسوع بل وبالمزيد أيضاً.

وإلى هنا عاد مرقس البشير إلى قصة يايرس وابنته. انه يقول ابتداءاً من الآية ٣٥ ما يلي:

> وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت، فقال لرئيس المجمع: «لاتخف. آمن فقط.» ولم يدع أحداً يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب. فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجاً. يبكون ويولولون كثيراً. فدخل وقال لهم: «لماذا تضجون وتبكون؟ لم تمت الصبية! لكنها نائمة.» فضحكوا عليه...؛ (الآيات ٣٥-٤٠).

كتابة هذه الحادثة إلى هذه المرحلة توضح جلياً حقيقة الموت المطلقة. نرى تلك اللحظة المرعبة عندما يستولى الموت وينهي جهود الإنسانية. وقف معظمنا بجانب انسان عزيز علينا عندما يهز الطبيب رأسه ويقول: «قد فقدناه.» قد اختبرنا كلنا ذلك الشعور بالعبث والنهاية الحاسمة عندما نغلق غطاء التابوت ونقفله على جسد من كان عزيزاً علينا. لا بد ان هذا ما شعر به يايرس في هذ اللحظة. هل تتصور عدم صبره في انتظار نهاية هذا اللقاء بين يسوع وهذه المرأة؟ كانوا على الطريق عندما حدث هذا. أراه في تصوري يقف أولاً على رجل واحدة ويميل بجسمه نحو الأخرى، يستغرب متى سيتحرك يسوع مرة أخرى. ومع كل عدم الصبر هذا، فانه لم يوبخ يسوع ابداً، لأنه كان يعلم بان يسوع يتعامل مع كل حاجة ماسة. وأخيراً حالما كانوا على وشك التحرك، جاء الخبر: «قد ماتت ابنتك.» أخمد قلبه.

عندما جاءوا إلى البيت كان الباكون قد بدأوا بالبكاء والعويل. لقد كانت من عادة في تلك الأيام ان يؤجر محترفين بالبكاء ليأتوا

ويبكوا على موت الشخص. كانت هناك حالة مفزعة نتيجة لكل هذا. يمزق أولئك المحترفين في البكاء ثيابهم وشعرهم ويصرخون بأصوات عالية. هذا يمثل الشعور باليأس الذي شعر به الشعب حتى في إسرائيل عندما واجهوا حقيقة الموت وجهاً لوجه. لقد خلا منهم تماماً رجاء النصر الذي يتمتع به الإيمان المسيحي.

عندما جاؤا إلى البيت قال يسوع للناس: «لماذا تضجون وتبكون؟ لم تمت الصبية! لكنها نائمة.» ولكنهم ضحكوا عليه، ظنوه مستفذاً. ولكن من الذي كان له التصور الحقيقي للموت؟ يسوع أم الناس؟ أشار يسوع عدة مرات في العهد الجديد للموت وكأنه نوم للمؤمن. لا يكون الموت مخيفاً كما يبدو، عندما يوجد إيمان. بل الموت هو شيء مؤقت فقط.

يواصل مرقس البشير من الآية ٤٠، حيث يقول:

> ...أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة. وأمسك بيد الصبية وقال لها: «طليثا، قومي.» الذي تفسيره: «يا صبية لك أقول قومي.» وللوقت قامت الصبية ومشت؛ لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة. فبهتوا بهتاً عظيماً (الآيات ٤٠-٤٢).

يود الجمع ان يشاهدوا شفاء ابنة يايرس! ولكنهم لم يروا لمحة لهذه المعجزة. عندما دخل يسوع في البيت أخرجهم كلهم وأخذ فقط بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها معه في الغرفة، وكان أبا الصبية وأمها منكسري القلب. وأما يسوع، فسار إلى جانب سرير الصبية وانحنى ليأخذ يدها وقال باللغة الأرامية: «طليثا قومي.» الذي تفسيره: «يا صبية، لك أقول قومي.» انه تكلم بلطف كما تفعل الأم عندما تصحي ابنتها الصغيرة قائلة: «أيتها الطفلة، انه الوقت للنهوض» هكذا قال.

ثم نقرأ في الآيتي ٤٢ و ٤٣ ما يلي:

> وللوقت قامت الصبية ومشت. لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة. فبهتوا بهتاً عظيماً. فأوصاهم كثيراً ان لا يعلم احد بذلك. وقال ان تعطى لتأكل.

لم يرغب يسوع ان يضع اعلاناً. لم يأتي يسوع لكي يوضع على قاعدة عالية كبطل و كصانع معجزات وإنما ليأتي بشفقة الله. انه لم يجري هذه المعجزات الشفائية لكي يلفت الإنتباه لنفسه فقط، بل ليظهر بان الله كان إله الشفقة والرحمة العظيمتين. لا يحتاج عمل المحبة إلى أعلان. صنعت هذه المعجزات من أجل ذاتها وليست لأي مكيدة مخفية لتعزيز النفس.

الخلاصة

هذا النص، هو قصة متباينة من شتى النواحي. هناك تباين بين يأس الذين يبكون والرجاء الذي عند يسوع. «لا تتعب المعلم، فان الصبية قد ماتت، لا يستطيع احد ان يفعل شيء بعد. دعه يمضي في طريقه»، هكذا قالوا. وأما يسوع، فقال: «لا تخف؛ آمن فقط.» من جانب واحد هناك صوت اليأس: ومن جانب آخر هناك صوت الرجاء.

هناك أيضاً في هذا النص، تباين بين هدوء يسوع، بينما كان الباكون ينوحون ويولولون ويمزقون شعرهم وثيابهم، كان يسوع هادئاً وساكتاً وفي تحكم تام.

ما الفرق في هذا التباين؟ الفرق هو ان يسوع كان يثق تماماً في الله ويؤمن إيماناً ثابتاً في الله الذي كان يخدمه. يمكن ان يقابل أسوأ مآساة للبشر بشجاعة عندما نقابلها والله معنا. ضحك الناس عليه لأنهم ظنوا بان لا رجاء له كان بلا آساس وأخطأوا في سبب هدوءه. ولكن الحقيقة العظيمة للحياة المسيحية هي ان المستحيل المطلق للناس هو ممكناً عند الله. قد تعلم المسيحي درس أساسي بان لا ينظر إلى ما يرى، بل إلى ما لا يرى. هذا يميز ذلك كله في العالم. ما يراه المنطق البشري بانه مبالغة ولا يمكن ان تكون حقيقة، مع الله تكون مجرد حقيقة. ضحك عليه الجمع ليزدروا به، ولكن تحول ذلك الضحك إلى أعجوبة عندما لاحظوا ما يمكن لله ان يفعل.

يخبرنا كل هذا بان يسوع هو رب الحياة

والموت. ليس هناك شيء على الإطلاق لا يمكن للمسيحي أن يواجهه ويتغلب عليه بما فيه الموت نفسه، بمحبة الله التي أظهرت بيسوع المسيح ابنه. ضحك الناس على يسوع آنذاك. ولكن من أجل يسوع ومن أجل انتصاره، يمكن للمسيحيين ان يضحكوا على الموت. يمكن للمسيحي ان يقول مع بولس الرسول:

ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية. وقوة الخطية هي الناموس. ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح (١ كو ١٥:٥٤-٥٧).

النصر على كل من الحياة والموت هما ليسوع والذين جعلوه رباً لهم.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧